ضمنية لمنظور المعارضة ، كما تراءت له عبر سياق المفارقات المؤكدة بين سلوك العذرى والحضارى ، لأننا - حقيقةً - أمام شريحتين متباعدتين :

الأولى : عُمرية تحكيها القصة الغزلية ، وحركة البطل المغامر ، وحوله الأبطال الثانويون (أو البطلات) من فتياته ، وهن يُعْجَبْنَ به ، وحركة الأحداث التي تحكى طبيعة غزله من منطقة الاستعلاء أو النرجسية[1] ، وعقدة المغامر الغزل ، وكيف تُحَلّ حلا نسائيا يكشف أعماق نفسية المرأة إزاءه ، مع ذلك التعدد غير التقليدى فى عالم المرأة موضوع الغزل ، إلى الميل - كثيراً - إلى اللهجة الحسية الغزلية ، إلى افتعال تقمُّص شخصية البدوى - تصنُّعاً - إزاء ربة الخدر التى لا يُرام خباؤها ، إلى تزجية الفراغ فى إطار من ذلك العبث الذي استجاب لعالم الغناء ولبّى حاجات دور القيان ، فاستباح بعض شعرائه طرحَ بعضٍ من الصور المبتذلة في عالم المرأة مما ازدحم به فضاء النص الغزلى .

والثانية : عذريةٌ تحكيها أبعاد التجربة العفيفة لدى جميل ومدرسته ، بدءاً من صورة البطل المستسلم المستكين أمام محبوبته ، إلى البطل المأزوم حين يحكم عليه بالهجر والقطعية والحرمان ، وهو يترك زمام الأمور فى يدها ، فيبدو مُطيعا لها خاضعا لرؤيتها ، وهو لايعرف حلا لمشكلته إلاّ من خلال وصلها[2] ، ولايستطيع أن ينسج خيطا قصصيا كاملا على نهج غريمه الحضارى ، إلا أن يظل على درجة من الاستحياء أمام فتاة القبيلة المحصَّنة الممنَّعة التى لا يردد لسانه سوى اسمها ، أو ربما قصد إلى رمز يستعين به كى يدل عليها ، فلا يعرف تعدُّداً نسائيا ، ولايجد مجالا لعبث أو لهو أو ابتذال ، بقدر ما يقف فى انتظار مصيره المتوقع بين الموت أو الجنون بسبب من ألم الهوى أو معاناة الهجر ، أو استمرار الحرص على تقاليد القبيلة التى قد تفرض عليه استحالة اللقاء أو الزواج ممَّن شبَّب بها ، من هنا تأتى

---

(١) إذا أخذنا بمنطق الأستاذ العقاد فى « شاعر الغزل » ومنطق الدكتور شكرى فيصل فى «تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام » .

(٢) على غرار قول جميل المشهور :

وأنت التى إن شئت - كدرت عيشتى ... وإن شئت -بعد الله - أنعمت باليا

أو قوله كشفا عن حجم أزمته الخاصة :

ألا أيها النوام ويحكم هبـــوا ... أسائلكم : هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ